

الأوقاف بمدينة صنعاء منذ نهاية القرن 3 حتى مطلع القرن 5 هـ/9-11 م*

جمال عبدولي

المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات

مقدمة

عرفت صنعاء اليمن شأنها شأن كثير من حواضر العالم العربي الإسلامي الوسيط ظاهرة الوقف أو التحبيس، التي تطالعنا منذ نهاية القرن 3 وحتى مطلع القرن 5 هـ/9-11 م كأبرز الظواهر الاجتماعية اللافتة بقصبة اليمن سواء كان ذلك من حيث اتساع نطاقها أو من حيث تنوع مظاهرها وتعدد أشكالها وهو ما ترجم عنه جلياً اهتمام بعض المؤرخين اليمنيين الأول، الذين عنوا بأخبار هذه المدينة. ذلك شأن محبّر الأثر النادر والفريد، الذي استندنا إليه في هذه الدراسة والذي هو عبارة عن مجموعة من القطع والتنتف المستلّة من كتاب **تاريخ اليمن** منسوب لمؤلف مجهول من القرن 5 هـ/11 م¹، لا يزال أغلبه مخطوطاً ومحفوظاً بمكتبة الأميروزيانا

* هذا البحث هو في الأصل موضوع ورقة علمية قدّمناها بمناسبة الملتقى الدولي الثاني "حول المدينة، القبيلة والمجال" الملتئم برحاب كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس أيام 10-12 أفريل 2003 تحت إشراف "مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط".

¹ كان الباحث اليمني الراحل الأستاذ محمد بن علي الأكوخ الحوالي أول من اهتم بهذا الأثر الموسوم بعنوان **تاريخ اليمن في الكوائن والمحن وملوك حمير وفي رجال الحديث ومن وفد إلى رسول الله (صلعم) ومن خرج من العمال وما جرى في اليمن إلى القرن الخامس من الهجرة المحمدية (صلعم)** وذلك حين قام بنشر بعض التنتف منه في دراسته الوثائق الإدارية والسياسية اليمنية، منبهاً في الأثناء إلى أهمية هذا المصنّف المخطوط كأبرز المصادر اليمنية القيمة والتادرة. مؤلف مجهول، **تاريخ اليمن**، قطعة نشرها عبد الله محمد الحبشي في **ذيل تاريخ صنعاء لابن جرير الصنعائي**، صنعاء، د. ت، ص 169-207 وما بعدها؛ محمد الأكوخ الحوالي، **الوثائق السياسية اليمنية من**

بمدينة ميلانو الإيطالية¹. فما هي الأسباب والبواعث، التي أدت إلى انتشار وازدهار ظاهرة الوقف بمدينة صنعاء خلال هذه المرحلة من تاريخها؟ وما هي الخصائص المميزة لنظام الوقف السائد بهذه المدينة من حيث أشكال الوقف الأكثر شيوعاً وطبيعة الجهات والأطراف، التي شملها هذه النظام؟ ثم ماهي آثار الوقف وانعكاساته على قسبة اليمن وأهلها خلال هذه المرحلة من تاريخها؟

I- أسباب انتشار ظاهرة الوقف بمدينة صنعاء وأغراضها

ما من شك أن انتشار ظاهرة الوقف بمدينة صنعاء وازدهارها بشكل لافت خلال الفترة موضوع الدراسة يعود إلى عدّة ظروف تاريخية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تضافرت جميعها لتكوّن الإطار الملائم لانتعاش هذه الظاهرة وازدهارها. فعلى المستوى السياسي عرفت قسبة اليمن مع مطلع القرن 4هـ/10م عودة الأسرة اليعفرية إلى الحكم بقيادة أسعد بن أبي يعفر الحوالي، الذي نجح في القضاء على الخطر القرمطي بهذه المدينة وما ناهجها من البلاد العليا². لكن نجاح الأسرة

قبيل الإسلام إلى سنة 332هـ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1396هـ/1976م، ص21، 258-260.

¹ ابن جرير الصنعاني، المصدر نفسه، ص11؛ الأكوخ الحوالي، المرجع نفسه، ص21؛ أيمن فؤاد سيّد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، القاهرة، 1974، ص 41-42 وانظر أيضاً:

Eugenio GRIFFINI, "Manoscritti sudarabici di Milano (catalogue) della prima collezione", in *Rivista degli Studi Orientali*, n° 2, 1908-1909, pp. 1-38, 133- 166 et n° 3, 1910, pp 65- 104 ; Idem, « Lista dei manoscritti arabi, nuovo fondo della biblioteca Ambrosiana di Milano », in *RSO*, n° 3, 1910, pp. 253-278, 571-594, 901-921 ; "Die jungste ambrosianische Sammlung arabischer Handschriften", in *Zeitschrift des Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, 69, 1915, pp. 63-88.

² ابن جرير الصنعاني، المصدر نفسه، ص 83- 84؛ أحمد الرّازي، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، الطبعة الثانية، دمشق، 1974م، ص 310؛ نجم الدين عمارة اليمني، تاريخ اليمن، نشره حسن سليمان محمود، مكتبة مصر، القاهرة، 1957م، ص 38؛ عبد الباقي اليماني ابن عبد المجيد، بهجة الزّمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء 1985م، ص 57-58؛ محمد العلوي، سيرة الإمام الهادي إلى الحقّ، تحقيق سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر

اليعفرية في العودة إلى سدة الحكم بصنعاء، بعد عناء وجهد كبيرين، لا يمكن أن يخفي في حقيقة الأمر هشاشة الموقف السياسي الذي بدا عليه بنو يعفر منذ أن عزموا على التغلب على مقاليد السلطة بهذه الناحية من أرض اليمن وذلك بسبب مجموعة الأخطار الخارجية والداخلية التي كانت تهدد نفوذهم وسلطتهم بقصبة اليمن طوال ذلك العهد¹. ففي الخارج كانت الخلافة العباسية ببغداد تراقب بكثير من الريبة والحذر ما يجري في صنعاء من تطورات سياسية، غير غافلة عن طموحات أعوانها اليعفرين الطامحين من جهتهم إلى الاستقلال بهذه المنطقة الهامة والإستراتيجية من بلاد العرب الجنوبية خارج إطار نفوذ دولة بني العباس². أما في الداخل فقد كان الوضع أكثر وطأة وخطورة بسبب المنافسة القوية التي كانت تلقاها الأسرة اليعفريّة من بقية الأسر والقبائل اليمنية الأخرى المتنفذة، سواء كان ذلك على مستوى مدينة صنعاء ومخاليفها أو على مستوى بلاد اليمن عامّة³. ولتدعيم موقعهم

والتوزيع، بيروت، 1981م، ص 252، 392، 393؛ الحسن الهمداني، كتاب الإكليل في أنساب ولد الهميسع بن حمير بن سبأ، تحقيق وتعليق محمد الأكوخ الحوالي، الطبعة الثالثة، شركة دار التثوير للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ/1986م، ج 2، ص 182-183؛ بهاء الدين محمد الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوخ الحوالي، شركة دار التثوير للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ/1989م، ج 2، ص 76.

Radhi DAGHFOUS, "Une dynastie yéménite autonome: Les Yu'furides (213- 393/828-1002)," in *Cahiers de Tunisie*, T. XXX, n. 119-120, 1982, pp. 43-121 ; Idem., *Le Yaman islamique des origines jusqu'à l'avènement des dynasties autonomes (I^{er}-III^e s./VII^e-IX^e s.)*, Université de Tunis I, 1995, t. II, pp. 857-858 ; Gerald Rex Smith, art " San'a ", in *EF*, vol. IX, p. 1.

¹ Carl VAN ARENDONK, *Les débuts de l'imamat zaydite au Yémen*, traduction de J. Ryckmans, Leyde, 1960, pp. 107 et sqq. ; R. DAGHFOUS, "Les Yu'furides ...", art. cit., p. 65.

² R. DAGHFOUS, "Les Yu'furides ...", art. cit. p. 65; Idem., *Le Yaman islamique... op. cit.*, t. II, p. 858.

³ للمزيد حول هذا الموضوع راجع الهمداني، الإكليل، ج2، ص 183-84؛ عمارة اليمني، المصدر المذكور، ص 105 وما بعدها؛ ابن عبد المجيد، المصدر المذكور، ص 40 وما بعدها؛ محمد بن يوسف الجندي، أخبار القرامطة، منقول من كتاب السلوك وطبقات العلماء والملوك، نشره هنري كاي ضمن كتاب تاريخ اليمن لعمارة اليمني، لندن، 1892م، ص 144 وما بعدها؛ نشوان ابن سعيد الحميري، الحور العين، القاهرة، 1948م، ص 197-199؛ حسين الهمداني وحسن سليمان محمود، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، 1955م، ص 34 وما بعدها؛ أيمن فؤاد سيد، تاريخ

على المسرح السياسي بهذا الجزء من البلاد اليمنية اعتمد بنو يعفر نظام الوقف كوسيلة من أجل الوصول إلى قلوب رعاياهم وكسب ودهم وولائهم، لذلك نراهم يكثرّون من وقف العقارات والضياع على ما يسمّى بالمرافق والخدمات العامّة، كعمارة الغيول¹ والسقايات في سبيل توفير الماء للسكان وإطعام المساكين والمعدمين، الذين كانت تعجّ بهم مدينة صنعاء، طوال ذلك العهد². كما سعى كثير من أفراد هذه الأسرة إلى الظهور بمظهر الورع والتّقوى واستغلال الشّعور الدّيني لرعاياهم من خلال الاهتمام المتزايد بالمنشآت الدّينية وعلى رأسها المساجد³.

وفي المقابل كان اضطراب الأوضاع السياسيّة بقصبة اليمن منذ نهاية القرن 3هـ/9م واحتداد الصّراع بها بين مختلف القوى والأسر الطّامحة إلى التّغلب على سدّة الحكم قد ولّد لدى العديد من العناصر الاجتماعيّة، لاسيّما الموسرة منها، نوعاً من الخوف وشعوراً بعدم الأمان على أموالها

المذاهب الدّينية في بلاد اليمن حتّى نهاية القرن السّادس الهجري، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص 52-56؛ حسين العمري، الأمراء العبيد والمماليك في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان 1409هـ/1989م؛ وجيه الدين عبدالرحمان ابن الدّيب، قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمّد الأكوخ الحوالي، القاهرة، 1977م، ج 1، ص 176 وما بعدها؛ يحيى ابن الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، تحقيق سعيد عبد الفتّاح عاشور ومراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1388هـ/1968م، 2010؛

R. DAGHFOUS, " Les Yu'furides ...", art. cit., p. 65 ; C. VAN ARENDONK, op. cit, pp. 107 et sqq.

¹ الغيول: مفرداها غيل وهو لفظ من بقايا اللّغة اليمنيّة القديمة وله دلالتان، الأولى تعني النّهر أو كلّ مجرى مائيّ سطحيّ يغذّيه مصدر جوفيّ يكون عادة في شكل عيون تقع على منحدرات الجبال وتستمدّ ماءها من الشقوق والانكسارات، التي تتخلّل الكتل الصّخرية الجبلية. الهمداني، الاكليل، ج 2، ص 289 و353؛ نفسه، الجوهرتين العتيقتين من الصّفراء والبيضاء، تحقيق حمد الجاسر، الرّياض، 1408هـ/1987م، ص 129 و275؛ الرّازي، المصدر المذكور، ص 106-108؛ عبد الوهاب عسلان، غيول صنعاء. دراسة تاريخيّة وأثرية، دار الفكر المعاصر، بيروت ودار الفكر، دمشق، 2000م، ص 23-68؛

Robert Bertram SERJEANT and Ronald LEWCOCK, *San'a: an Arabian Islamic City*, The World of Islamic Festival Trust, London 1983.p19-20.

² مؤلّف مجهول، تاريخ اليمن، ص 172 وما بعدها.

³ المصدر نفسه، ص 169 وما بعدها.

وأملكها، التي أصبحت في ظلّ تلك الفوضى السياسيّة والعسكريّة عرضة للنهب والمصادرة في كلّ حين. وقد وجدت هذه العناصر الاجتماعيّة الموسرة من حكام وكبار ملاكين وتجار في نظام الوقف الأهلي أو العائلي ملجأ وملاذاً لتأمين أموالها من الاستيلاء والتعدي¹. ولا شك أنّ ازدهار ظاهرة الوقف بمدينة صنعاء زمن حكم الأسرة اليعفرية له ما يبرّره من الناحية الاقتصاديّة وذلك من حيث توفر قاعدة اقتصاديّة وماليّة تسمح بتمويل الكثير من المرافق والخدمات العامّة والتي اتّخذ أغلبها صبغة الوقف. والمتأمل في ما دونه الجغرافيون والرحالة المسلمون عن قصبه اليمن، خلال هذه المرحلة، يلحظ ببسر ما كانت تعيشه هذه المدينة من انتعاشة وحركيّة اقتصاديّة هامّة². فقد وصفها ابن رسته في كتابه **الأعلاق النفيسة** بقوله: "هي مدينة اليمن، ليس باليمن ولا بتهامه ولا بالحجاز مدينة أعظم منها وأكثر أهلاً وخيراً"³، في حين يذكرها الأصطخري بأنّها "ذات مرافق كثيرة من أيّ مدينة أخرى في اليمن"⁴، وهي أيضاً حسب تقرير المقدسي "أجمل من زبيد وأمر منها"⁵. وتتضح لنا أهميّة القاعدة الاقتصاديّة والماليّة لمدينة صنعاء خلال القرن 4هـ/10م بأكثر وضوح من خلال الترتيب، الذي أورده صاحب كتاب **صورة الأرض للدول القائمة في اليمن حسب القوى ذات النفوذ** ومقدار ما تحصل عليه كلّ من هذه القوى من أموال حيث نجد الدولة اليعفرية زمن حكم أسعد بن أبي يعفر تحتلّ المرتبة الثانية بعد الدولة الزيادية في زبيد من حيث وارداتها الماليّة، التي قدرت بأربعمائة ألف دينار سنويّاً⁶.

¹ المصدر نفسه، ص 196.

² أبو إسحاق إبراهيم الأصطخري، **مسالك الممالك**، بريل، ليدن، 1927، ص 24؛ أبو علي أحمد ابن رسته، **الأعلاق النفيسة**، تحقيق خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1419هـ/1998م، ص 101-104؛ أبو القاسم النّصيبى ابن حوقل، **كتاب صورة الأرض**، مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص 31-33، محمد المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، بريل، ليدن، 1906، ص 84، 87-95. عبد الرحمان عبد الواحد الشجاع، **اليمن في عيون الرحالة**، دار الفكر المعاصر، بيروت ودار الفكر، دمشق، 1413هـ/1993م، ص 4 وما بعدها.

³ ابن رسته، **المصدر نفسه**، ص 101.

⁴ الأصطخري، **المصدر المذكور**، ص 24.

⁵ المقدسي، **المصدر المذكور**، ص 84-95.

⁶ ابن حوقل، **المصدر المذكور**، ص 31-33.

ولعلّ ما زاد أهل صنعاء من حكام وأصحاب أموال إقبالا على وقف أملاكهم هو إعفاء هذه الأوقاف من الخراج والضرائب وأساس هذا الإعفاء هو أنّ الأموال الموقوفة في سبيل الله ليس فيها زكاة، لأنّ المفروض في الوقف أنّه صدقة وأنّ مصاريف الزكاة وأموال بيت المال إنّما توضع في مثل الموقوف عليهم ريع الوقف، سواء كانوا من الفقراء والمساكين أم من العلماء وطلبة العلم¹. أما الأوقاف الأهلية الموقوفة على أفراد محددين فحكمها حكم سائر الأموال، وإنّما جرى العرف على إعفاء الأوقاف بصفة عامّة من دفع الضرائب². أمّا على المستوى الاجتماعي، فإنّ ما تجدر ملاحظته هو غلبة الفئات المعدّمة من المساكين والمحتاجين على المجتمع الصنعاني، كما يوحي بذلك الاهتمام الذي خصّ به أبو العباس أحمد الرّازي صاحب كتاب **تاريخ صنعاء** فئة المساكين في مؤلّفه وعرضه لإحصائيات تعكس ثقلهم العددي والاجتماعي بهذه المدينة³. ومما لا شكّ فيه أنّ الأوضاع السياسيّة المضطربة بقصبة اليمن، خلال هذه المرحلة من تاريخها، بسبب الصّراعات والنزاعات المعتمدة بين الأسرة اليعفرية وبقيّة الأسر والعناصر الطامحة إلى التغلّب على الحكم، قد انعكست سلبا على الأوضاع الاجتماعيّة بهذه المدينة بسبب انشغال الحكام وأولي الأمر بالنزاعات والحروب وترك العناية بالمصلحة العامّة، فكانت الحروب بينهم سجالا والتّاس في ضيق وعسر من العيش⁴. ولعلّ أحسن تصوير للحالة السياسيّة المضطربة وغير المستقرّة بقصبة اليمن، خلال هذه المرحلة من تاريخها، يتجلّى بوضوح فيما أورده المؤرّخ الرّيزي ابن أبي الرّجال حين يقول: "وكانت صنعاء وأعمالها كالخرقة الحمراء بين الأجداء لها في كلّ سنة أو شهر سلطان غالب عليها حتّى ضعف أهلها

¹ أبو عبيد ابن سلام، **كتاب الأموال**، تحقيق محمّد حامد الفقي، مؤسّسة ناصر للثقافة، بيروت، 1981م، ص 495-496؛ محمد محمد أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعيّة في مصر**، القاهرة، 1980، ص 93.

² محمد أمين، **المرجع نفسه**، ص 93؛ محمّد كمال الدين إمام، **الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي**، الطبعة الأولى، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1416هـ/ 1996م، ص 187 وما بعدها.

³ الرّازي، **المصدر المذكور**، ص 106، 109، 110؛ ابن جرير الصنعاني، **المصدر المذكور**، ص 161-162.

⁴ ابن جرير الصنعاني، **المصدر نفسه**، ص 79.

وانتجعوا إلى كلِّ صقع، وتوالى عليها الخراب وفلّة العمارة في كمال أربعمئة من الهجرة حتى انتهى عدد دورها إلى نحو نيف وألف دار فقط بعد أن كانت دورها في كمال المائتين من الهجرة في زمان هارون الرشيد وابنه المأمون نحو مائة ألف دار وعشرين ألف دار¹.

أما الجوائح الطبيعيّة من قحط وفيضانات، فلم تكن بدورها إلا لتعمّق الأزمة الاجتماعيّة بهذه المدينة والتي كانت وطأتها تكون أكثر حدّة على الفئات المعوزة². ففي غضون سنة 262هـ/870م سال سيل بنو احي صنعاء وخرّب ما مرّ به من الضياع والقرى والدور حتى قيل "أنّه خرّب ما يزيد عن ألف ومائتي دارا وجرّ من الأمتعة والنّاس والأموال مالا لا يحصى". ثمّ لما كانت سنة 289هـ/901م "اشتدّ القحط باليمن ومات أكثر النّاس جوعا وبلغ ثلثي مكيال بدينار وأكل النّاس الميتة والدّم وأكل النّاس بعضهم بعضا وخربت قرى كثيرة مات أهلها من الجوع"³. وكنتيجة حتميّة لهذه الظروف البائسة والقائمة شهدت الظّاهرة العمرانيّة بمدينة صنعاء منذ نهاية القرن 3هـ/9م تراجع ملحوظا وذلك ما نستشفّه بيسر من خلال التقرير الذي أورده الرّازي في هذا المعنى حيث يقول: "ووجدت بخطّ [يحي بن] حازم: حدّثني أبو الحسين يحي بن خلف أنّ القاضي يحي بن عبد الله المحرس حدّثه أنّ دور صنعاء عدّت في أيّام أسعد وأخيه عبدالله فوجدت نيفا وثلاثين [ألف] دار. وذكر لي أنّها عدّت في أيّام ابن وردان وقحطان فوجدت أربعة عشر ألف دار. وذكر لي أنّها عدّت في أيّام أبي جعفر بن الضحّاك سنّة آلاف دار وخمس مائة. وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة، ألف وثمانمئة، وخربت من الدور ودور النّزول

¹ أحمد ابن أبي الرّجال، مطلع البذور ومجمع البحور في تراجم رجال الزّيدية، تحقيق مجد الدّين بن محمّد بن منصور المؤيدي، صعدة، 2004م، ج 4، ص 67؛ عبد الواحد الشّجاع، المرجع المذكور، ص 56.

² علي الشّرفي، "الكوارث الطبيعيّة في بلاد اليمن منذ مطلع القرن الخامس حتى القرن السّابع الهجري وأثرها على الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة"، الندوة العالميّة السادسة لتاريخ دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة، الرياض، 28-29 شوّال 1427هـ/ 19-20 نوفمبر 2006م، ص 674-675، منشور على العنوان الإلكتروني:

<http://ksu.edu.sa/sites/KSUArabic/aboutUs/Events/ASAP/isha6/Pages/re6.aspx>

³ ابن جرير الصّنعاني، المصدر المذكور، ص 71 و 80.

والمساجد والسقايات من سنة أربع وأربعين إلى سنة خمس وستين وثلاثمائة وأربعة وسبعون دارا من دور النزول بصنعاء وثلاثة عشر حَمَّامًا، فأما المساجد والسقايات فما لا يحصى. وذكر لي أنّ صنعاء عدت في أيام أبي جعفر أحمد بن قيس [بن] الضحّاك وذلك في صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، فكانت ألف دار وأربعين دارا منها خمسة وثلاثون دارا لليهود. وعدت الحوانيت العامرة والخربة، التي كانت بصنعاء، فإنّ الجميع سبع مائة حانوت منها خراب كثير. وعدت المساجد العامرة مائة مسجد وستة مساجد. وعدت الحَمَّامات العامرة اثني عشرة حَمَّامًا. وعدت المعاصر أربعة وخمسين معصرة يعصر بها السمسم. وعدت مطاحن الفرض الذي يديع به الجلود والأدم ثلاثة وثلاثين مطحنا". وأمام غياب سياسة ثابتة وعناية مستمرة من لدن أولى الأمر بصنعاء تجاه مسائل الرعاية الاجتماعيّة إلى جانب تزايد جمهور المحتاجين والمساكين والمعدمين وأشباه المعدمين، الذين كانوا يعيشون في عسر وضيق مقارنة بغيرهم من الفئات الموسرة، التي احتكرت من جهتها أسباب الثروة من أموال وأملاك، برزت الأوقاف وانتشرت بقصبة اليمن كحلّ بديل في سبيل توفير أشكال الرعاية الاجتماعيّة لتلك الفئات المحرومة من أسباب الحياة!

II- أنواع الوقف الشائعة بمدينة صنعاء وأشكال إدارتها وتنظيمها

من المعلوم أنّ الوقف في الإسلام ليس على درجة واحدة كما أنّ أحكامه عند الفقهاء والعلماء قد اختلفت باختلاف أنواعه². وقد عرفت مدينة صنعاء مختلف أشكال الوقف الشائعة في العالم الإسلامي والتي يمكن توزيعها إلى نوعين رئيسيين وهما الأوقاف العامّة والأوقاف الخاصّة وإن بدا النوع الأوّل هو الغالب والأكثر شيوعا بقصبة اليمن خلال هذه المرحلة من تاريخها. أمّا عن طبيعة هذه الأوقاف، فهي تتمثّل أساسا في العقارات كالأراضي والحوانيت والدور والغيول والآبار. وتبقى الأراضي الزراعيّة والحوانيت من أكثر الأموال تداولا في نظام الوقف

¹ الرّازي، المصدر المذكور، ص 106، 109، 110، 113-115. مؤلف مجهول، المصدر المذكور، ص 172 وما بعدها.

² نجم الدين الهنتاتي، "الأحباس بإفريقيّة وعلماء المالكيّة إلى منتصف القرن 6هـ/12م"، الكراسات التّونسيّة، مجلّد XLIX، عدد 174، التّالّثيّة الثّالثة لسنة 1996، ص 79-80.

بمدينة صنعاء، طوال المرحلة المدروسة، وهذا أمر منتظر خاصّة إذا جعلنا في الاعتبار أهميّة الأنشطة الزراعيّة والحرفيّة والتجاريّة في البنية الاقتصاديّة بهذه المدينة وبلاد اليمن عامّة.

وإذا كانت بعض الأوقاف الموقوفة بقصبة اليمن قد جعلت ولايتها بين أيدي محبسيها أو بين أيدي من يرتضونهم من ذريّتهم أو من غيرهم¹، فإنّ أغلب هذه الصّدقات المحبّسة كانت توضع تحت نظر وإشراف القضاة، حتّى صار من المتعارف عليه أن يتولّى القاضي النّظر في هذه الأموال وفي وجوه صرفها، فإن كان عليها مستحقّ للنّظر فيها حسب شروط الواقف راعاه القاضي وإن لم يكن هناك من ينظر فيها تولّى القاضي النّظر فيها أو عين من يتولّاها، كما كان ذلك شائعاً في كثير من البلاد الإسلاميّة الأخرى التي عرفت بدورها ظاهرة الوقف². وتتمثّل أغلب الأوقاف المحبّسة بمدينة صنعاء خلال هذه المرحلة من تاريخها في الأموال والأموال الموقوفة على المرافق العامّة كالمساجد والمنشآت المائيّة من غيول وسقايات إلى جانب أوقاف الإحسان العام، التي شمل قسم كبير منها الفئات المعدّمة أو شبه المعدّمة من مساكين ومحتاجين وغير ذلك من وجوه البرّ الأخرى، كالوقف على مواسم الحجّ والجهاد في سبيل الله، إضافة إلى ما يعرف بالوقف الذريّ أو الأهلي، أمّا الجهات المحبّسة لهذه الأوقاف فهي تتألّف في الغالب من الحكّام ومن بعض الأثرياء ووجوه الأقوام.

1- المساجد

يشمل نظام الوقف في الإسلام المنشآت والمقدّسات الدّينيّة وخاصّة منها المساجد. إذ حرّض القرآن على إعمار المساجد: " إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصّلاة وآتى الزّكاة، ولم يخش إلاّ الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين"³، وكذلك الحديث المنسوب إلى النبي

¹ مؤلّف مجهول، المصدر المذكور، ص191، 195، 196، 197؛ الأكوغ، المرجع المذكور، ص 258-259.

² شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، 1976، ج 6، ص 255؛ أبو عمر محمد الكندي، كتاب الولاة والقضاة، نشر ريفن قيس، المطبعة اليسوعيّة، بيروت 1908، ص 444 و516؛ مؤلّف مجهول، المصدر المذكور، ص 191، 197.

³ التّوبة، الآية 18.

محمد الذي يقول فيه: "من بنى لله مسجداً، ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة"¹. وهذا يفسر اهتمام المحبسين المسلمين، لاسيما أصحاب السلطان منهم، بالمعالم والمقدسات الدينية من حرمين شريفين وجوامع ومساجد، فأوقفوا الأوقاف على عمارتها وبخورها وفرشها وإضاءتها وزودوها بالماء²، مدفوعين في ذلك بقوة الشعور الديني الغالب على نفوسهم، رجاء في الثواب والمغفرة أو سعياً لاستمالة الرعايا إليهم وكسب رضاهم وولائهم من خلال استغلال العاطفة الدينية القوية لديهم.

* المسجد الجامع بصنعاء:

يعدّ أسعد بن أبي يعفر من أكثر رجالات الأسرة اليعفرية عناية بمساجد مدينة صنعاء وخاصة منها مسجدها الجامع، الذي خصّه بكثير من الصدقات طيلة فترة حكمه، التي امتدّت إلى حدود سنة 332هـ/943م³. ومن أشهر الصدقات التي أوقفها هذا الأمير اليعفري على المسجد الجامع بمدينة صنعاء ضيعات وبساتين كانت في سهمه بكلّ من شاهرة ومسيب وحضور وضهر وذلك حين جعل قسماً من عائدات هذه الأملاك صدقة مؤبّدة موقوفة على ما يحتاجه جامع صنعاء من عمارة وما يلزمه من تجهيزات طيلة شهر رمضان، إلى جانب نفقة شهرية للقائم عليه ليتعهّده باستمرار بالإصلاح والعناية اللائمة⁴.

* مسجد ابن الرويّة:

يعود تاريخ هذا المسجد الواقع بناحية الجبّانة إلى عهد الصّحابي فروة بن مسيك المرادي، الذي يروى أنّه كان يتعبّد بموضع هذا المسجد، ثمّ بناه حفيده من جهة الأمّ المسمّى ابن الرويّة⁵. وقد ظلّ هذا المسجد حتّى زمن المؤلّف محلّ اهتمام وعناية أهل اليسار والفضل من سكّان صنعاء، الذين

¹ اختلفت صيغة هذا الحديث، الذي كثيراً ما ورد في الصّبح الافتتاحية لوثائق الوقف، كما اختلفت صيغته أيضاً في كتب الحديث. صحيح مسلم، دار الطّباعة العامرة، القاهرة 1929-1932، ج 2، ص 68.

² مؤلّف مجهول، المصدر المذكور، ص 198.

³ ابن الذبيّع، المصدر المذكور، ج 1، ص 209؛ ابن الحسين، المصدر المذكور، ج 1، ص 215.

⁴ مؤلّف مجهول، المصدر المذكور، ص 201.

⁵ مؤلّف مجهول، المصدر نفسه، ص 191؛ محمد بن أحمد الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفّيها، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1398هـ، ص 26.

خصّوه بكثير من الصدقات والأوقاف من ذلك ما حظته به المسمّاة فاطمة بنت القاسم بن حيدة حين تصدّقت عليه بجزء من حصّتها في دار أمّها الواقعة في ناحية القطيع، "فاقتطعت من سقف هذه الدار قطعة وسقفته بها وكان قد ذهب عنه قسم من سقفه"¹.

* مسجد الأمير:

بنى هذا المسجد الواقع بناحية السّرار الأمير علي بن سليمان عبد الله العبّاسي والي صنعاء زمن خلافة المهدي، ثمّ قام بتجديده أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح وزير الخليفة المقتدر بالله، وحين زار هذا الأخير صنعاء في شهر محرّم من سنة 312هـ/ 924م أمر بعمارته مرّة أخرى. ويذكر أنّ الأمير اليعفري خطّاب بن إبراهيم الحوالي كان يبعث باستمرار يقراطيس الخور والعنبر ليطيّب بها هذا المسجد، في حين كان أبو عبد الله بن أحمد بن علي السّيرافي المعروف بالصّوفي والمتوفى في حدود سنة 389هـ/ 999م قد تكفّل بإصلاحه².

* مسجد الصّومعة:

يعدّ هذا المسجد ثاني المسجدين، اللّذين بناهما الأمير علي بن سليمان بن عبد الله العبّاسي بناحية السّرار، ثمّ قام بتجديد عمارته هشام بن إسماعيل وبنى له منارة لم تكن بصنعاء منارة أطول منها. وحين ولي الأمير الخطّاب بن عبد الرّحيم الحوالي ولاية صنعاء تصدّق بصدقة على هذا المسجد وكان من جملة هذه الصدقة حائط رخيلة وعنب الأحجل³.

* مسجدا السّخطين:

يعرف المسجد الأوّل بمسجد الرّقاع وموضعه بأسفل سوق اللّسّاسين في حين يسمّى الثّاني بمسجد السّدرة وموضعه بأعلى السّكّة المعروفة بسكّة أبي مطر منيع بن ماجد الهمداني. وقد اشتهر هذان المسجدان خلال القرن الرّابع الهجري/العاشر بمسجدي السّخطين نسبة إلى أسرة السّخطين⁴، الذين كانوا من أكثر سكّان صنعاء وقفا على هذين المسجدين⁵.

¹ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 191-192.

² المصدر نفسه، ص 169-170.

³ المصدر نفسه، ص 171-172.

⁴ الهمداني، الإكليل، ج 2، ص 84-85.

⁵ مؤلف مجهول، المصدر المذكور، ص 174-175.

*** مسجد الأجدم:**

هو مسجد قديم يقع بأعلى السكة المعروفة بالسكة الواسعة بشارع بني مالك بناحية المداور وكان عرف في أول عهده بمسجد السمّان، ثمّ تمّ تجديد عمارته في حدود سنة 412هـ/ 1021م، ليعرف زمن المؤلف بمسجد الأجدم نسبة إلى بعض المتعبدين المجذومين المعتكفين به. وقد أوقفت على هذا المسجد "صدقة بناحية هجريرة من غرارة البرور من مخلاف سهمان، فمنها جربتان من الوادي المعروف بالمخذر حدودها الباقية إلى المخذر، فسهم في أيدي ورثة عباد بن أحمد". وقد جاء في رواية للشيخ عبد الله بن الذيلمي أنّه كان لهذا المسجد صدقة أخرى في منطقة الحقل تعرف بالرّياحين¹.

*** مسجد ابن طاهر العلوي:**

حبّست على هذا المسجد، الذي لم يحدّد موضعه، صدقة تصدّق بها المفضّل بن يوسف بن محمد السّخطي لم تحدّد طبيعتها².

*** مسجد بسوق ابن ماعز:**

كان يعرف في أول عهده بمسجد عزيز وقد أوقف عليه حانوت يعرف بـ"حانوت المدق"³.

*** مسجد عبد الله بن أبي الرّوم:**

بنى هذا المسجد الواقع بناحية السّرار المسمّى عبد الله بن أبي الرّوم، ثمّ أوقف عليه حانوتين بسوق الصّوغ⁴.

2- الغيول والسّقايات

شأنهم شأن غيرهم من أهل المدن عمل سگان صنعاء جاهدين على تأمين ما يلزمهم من الماء لتصريف شتّى أشكال حياتهم، فأكثرُوا من الاهتمام بالمنشآت المائيّة على اختلافها وخاصّة منها الغيول والسّقايات

¹ المصدر نفسه، 169 و184.

² المصدر نفسه، ص 179-180.

³ المصدر نفسه، 179-184.

⁴ المصدر نفسه، ص 174-175.

وذلك في سبيل ضمان وصول الماء إلى كامل الفضاء العمراني المكوّن لهذه المدينة وحتى يتمكّن مختلف سكّانها من التزوّد بما يكفيهم من هذه المادّة الحيويّة القائمة مصادرها أساسا على ما يستتبط من باطن الأرض في ظلّ انحصار تساقط الأمطار بهذه المنطقة في موسمين معلومين هما موسما الصّيف والخريف واللذين يستأثران بما يناهز 75 بالمائة من مجموع الأمطار المتساقطة سنويًا على قسبة اليمن¹.

* غيل الريشة:

أوقف الأمير أسعد بن أبي يعفر لإصلاح هذا الغيل الواقع بضلع همدان من مخلاف مأذن بالنّاحية الشماليّة الغربيّة لمدينة صنعاء سهما من غلات ضياعه الواقعة بمسيب وحضور ونهله وأدوار وجريش وضهر².

* غيل غراب:

كانت ثلاثة أخماس هذا الغيل الواقع بمخلاف مأذن على ملك المسمّى أحمد بمن محمّد بن يزيد المعروف ابن قمران، الذي أوقف عليه حصّة من ضيعته الواقعة بهذه المنطقة³.

* سقاية المسجد الجامع بصنعاء:

أنشئت هذه السقاية على يد أبي الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح وزير الخليفة المقتدر بالله العبّاسي و"كانت من أحسن السقايات والمناهل عمارة وأعذبها ماء"⁴.

* سقاية قصر غمدان:

يعود تاريخ إنشاء هذه السقاية إلى زمن الوالي أبي العتاهية بن ثابت، ثمّ عمارتها الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح وجعل عليها القاضي مطرّف بن مازن ليقوم بها "وكان يرسل له بكفايته وجراية ما يقوم بشأنه، فكانت عامرة وكان الماء يجري عليها من غيل وعران"⁵.

¹ عسلان، المرجع المذكور، ص 23 وما بعدها؛

R. B. SERJEANT and R. LEWCOCK, *op. cit.*, p. 19.

² مؤلف مجهول، المصدر المذكور، ص 191، الأكرع، الوثائق السياسيّة... المرجع السابق، ص 258.

³ المصدر نفسه، ص 204.

⁴ المصدر نفسه، ص 195-196.

⁵ المصدر نفسه، ص 170.

*** سقاية مسجد الأخضر أو ابن الأخضر:**

أوقف على هذه السقاية الواقعة بسوق اللسّاسين حانوتان لم يحدّد موضعيهما¹.

*** سقاية مسجد الأمير:**

أنشئت هذه السقاية زمن إنشاء المسجد المنسوبة إليه على يد الوالي علي بن سليمان العبّاسي، ثمّ جدّدت عمارتها على يد أبي الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح وزير الخليفة المقتدر بالله العبّاسي².

*** سقاية عند دار ابن برمك:**

تقع هذه السقاية في ناحية دار ابن برمك بالبيدا حيث سوق الثّبّين وقد حبّس عليها حانوت يقع بجوارها³.

*** سقاية الخيل:**

تقع هذه السقاية عند باب القاولي بناحية المسجد الجامع وكان هذا الباب يعرف قبل زمن المؤلّف بباب النخلة. وقد حبّست على هذه السقاية حصّة من دخل أربعة حوانيت تعود ملكيّتها إلى الأمير قحطان بن عبد الله بن يعفر الحوالي، ثلاثة منها تقع في سوق الموز وحانوت في سوق السّمّانين⁴.

*** سقاية الرّقيق:**

حبّس على هذه السقاية، التي لم يحدّد موضعها، سهم من الحوانيت الأربعة الرّاجعة ملكيّتها إلى الأمير قحطان بن عبد الله بن يعفر الحوالي⁵.

*** سقاية سوق الخرازين:**

تقع هذه السقاية بزقاق في سوق الخرازين وقد حبّس عليها حانوت يوجد بسوق السّمّانين⁶.

¹ المصدر نفسه، ص 170-171.

² المصدر نفسه، ص 168.

³ المصدر نفسه، ص 170.

⁴ المصدر نفسه، ص 193-195.

⁵ المصدر نفسه، ص 194.

⁶ المصدر نفسه، ص 195.

*** سقاية بسكة بني مالك:**

حبس على هذه السقاية حانوتان متصلان في سوق الحدائين¹.

*** سقاية بسوق الجزارين:**

حبس على هذه السقاية حانوت لم يذكر موضعه وحانوت بسوق الحجامين تصدق به المسمى أحمد بن أبي طاهر بن خزيم وحانوت ثالث بسوق الصاغة².

*** سقاية علب:**

أوقفت على هذه السقاية، التي لم يحدّد موضعها، حصّة من دخل حانوت يقع في سوق الخرازين وكان القائم على هذا الوقف المدعو هلال بن إبراهيم³.

*** سقاية بسوق الحجامين:**

تقع هذه السقاية بسوق الحجامين، الذي أصبح زمن المؤلّف يعرف بسوق النجارين والحدادين والخرازين والعطارين، كما سمّي أيضا بسوق بني عقيل. وقد حبس على هذه السقاية حانوت كان ملاصقا لها، ثمّ أبطل هذا الوقف بعد أن أعيدت عمارة السقاية المذكورة وضمت إلى الحانوت المجاور لها في زمن المؤلّف⁴.

*** سقاية بئر اليانعي:**

حبس على هذه السقاية، التي لم يحدّد موقعها، حانوت بناحية سوق الصاغة وحدود هذا الحانوت حانوت عبد الله بن داود بن سليمان وحانوت الغداف وشركائه وما يتّصل به من دار الموز وشارع هذا السوق⁵.

¹ الصفحة نفسها.

² المصدر نفسه، ص 193، 195 و180.

³ المصدر نفسه، ص 197-198.

⁴ المصدر نفسه، ص 181 و193.

⁵ المصدر نفسه، ص 181.

*** سقاية عند دار البعداني:**

حبّس على هذه السّقاية حانوت في سوق ابن ماعز¹.

*** سقاية بناحية المداور:**

تعرف أيضا بسقاية ابن قراد وعليها حانوت صدقة لم يحدّد موضعه².

*** سقاية محفوظ بن أحمد بن طاهر:**

حبّس على هذه السّقاية، التي لم يحدّد موضعها، حانوت يقع في أسفل سوق الشوّائين³.

*** سقاية أبي الهذيل:**

حبّس على هذه السّقاية، التي لم يحدّد موضعها، حانوت بسوق الصّاعة وحانوت بسوق الجزائرين وحانوت على ملكيّة إبراهيم بن فرسك بناحية سوق الحّجامين⁴.

3- أوقاف أخرى

إلى جانب الأموال والعقارات المحبّسة على المنشآت الدّينيّة والمائيّة بمدينة صنعاء والتي تبدو أكثر وجوه الوقف شيوعا بقصبة اليمن خلال هذه المرحلة من تاريخها، شمل نظام التّحبيس بهذه المدينة أشكالا أخرى متنوّعة من أعمال البرّ والخير من ذلك الوقف على المساكين والفقراء والوقف على المرابطين في الثّعور، جهادا في سبيل الله، والوقف على مناسك الحجّ والوقف على العبيد والرّقاب المملوكة، إلى جانب ما يعرف بالوقف الأهلي أو الذريّ وخاصة منه الوقف على البنات بسبب تفتّشي ظاهرة عدم توريت الأنتى في بعض الأوساط القبليّة اليمنيّة⁵. ومن أبرز

¹ المصدر نفسه، ص 180.

² الصفحة نفسها.

³ الصّفحة نفسها.

⁴ المصدر نفسه، ص 180-181.

⁵ محمد بن علي الشّوكاني، السّيل الجرّار المتدفّق على حدائق الأزهار، تحقيق محمود إبراهيم زايد ومحمود أمين، القاهرة، 1404هـ، ج 4، ص 474؛ المؤلّف نفسه، نيل

الأوقاف، التي حبّست على المساكين وأهل الفاقة من سكّان صنعاء والتي كانت في أغلبها صادرة عن الحكّام وكبار الأثرياء من أهل هذه المدينة سواء كان ذلك لدوافع دينيّة طلبا للأجر والثّواب أو في سبيل الدّعاية السياسيّة. ويعتبر أمراء وحكّام الأسرة اليعفرية من أكثر أهل صنعاء وقفا على ذوي الخصاصة والمعوزين، الذين كانت تعجّ بهم قسبة اليمن¹، خلال هذه المرحلة من تاريخها، من ذلك ما جاء في "وقفيّة" الأمير الخطّاب بن عبد الرّحيم الحوالي حين خصّ مساكين صنعاء ومحتاجيها بمجموعة من الصّدقات تمثّلت في حصّة من غلّة ضياعه، التي في "بيت خولان وبيت عصيد ومحيب ومسيب وقراتيل وخربة سعوان وحاط رخيلة وعنب الأحجل وضيعة سنان وضيعة بيت حفيان"². كما كان الأمير أسعد بن يعفر قد أوقف من جهته ضياعا له بكلّ من مسيب وحضور ويحان وأدوار ونهلة وجريش والشّبيب "صدقة على المستحقّين بقدر استحقاقهم"³. وفي وصيّته، التي كان قد أوصى بها قبيل وفاته، تصدّق الأمير أسعد بن أبي يعفر على "المساكين وأهل السّتر المستحقّين بكلّان وصنعاء..."⁴.

ومن وجوه الوقف الأخرى الشّائعة أيضا بمدينة صنعاء ما يعرف بالوقف الأهلي أو الذريّ، أيّ التّحبيس على الأهل والذريّة، سواء كان ذلك بدافع ضمان انتقال مال المحبّس إلى ورثته وتحصينه من أشكال المصادرة والتعدّي في ظلّ الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة غير المستقرّة بهذه المدينة وبلاد اليمن عامّة، طوال هذه المرحلة من تاريخها⁵، أو كان

الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، تحقيق محمّد صبحي حلاق، دار ابن الجوزي، بيروت، 1427هـ، ج 6، ص 44؛ المؤلف نفسه، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والذراية من علم التفسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1403هـ/1983م، ج 1، ص 134 و432؛

Joseph CHELHOD, *L'Arabie du Sud. Histoire et civilisation*, t. III, *Culture et institutions du Yémen*, Maisonneuve, Paris, 1985, pp. 145-148.

¹ الرّازي، المصدر المذكور، ص 106، 109 و110؛ ابن جرير الصنعاني، المصدر المذكور، ص 161-162.

² مؤلف مجهول، المصدر المذكور، ص 172.

³ المصدر نفسه، ص 192.

⁴ الأكوغ، الوثائق السياسيّة، ص 258؛

⁵ C. VAN ARENDONK, *op. cit.*, pp. 107 et sqq. ; R. DAGHFOUS, « Les Yu'furides... », art. cit., p. 65.

ذلك أيضا في إطار السّعي إلى حصر المال المورث في ورثة معيّنين دون غيرهم وبمقادير محدّدة. ومن أبرز الشّواهد التّاريخيّة، التي تنتزّل في هذا المعنى، ما جاء في وصيّة الأمير أسعد بن أبي يعفر حين أوصى أن يوزّع قسم من ماله بين أهله وذلك كالآتي: "إلى العجوز (قد يكون المقصود بها أمّه أو زوجته) أربعة آلاف دينار ثلاثيّة وإلى الأخت ستّ آلاف دينار ثلاثيّة واقتصد من ثلثه على العشرين ألف دينار ثلاثيّة يدفع من ذلك إلى العجوز ألف دينار وإلى ورثة عجوز أخيه أبي عمر رضي الله عنه وبيّض وجهه خمسمائة دينار وإلى التّبع بن عبد الله فيما كان قد وعدناه بإعاضته إيّاه لما أنفق في الوجه الذي صرف عنه وكان قد أشرف له من النهج الذي أوقف دونه ما أشرف ألف دينار"¹. وكان الخطّاب بن عبد الرّحيم الحوالي قد حبّس ما بقي من سهم في ضياعه، التي في بيت خولان وبيت عصيد ومحيب ومسيب وقراتيل وسعوان على "أولاده لكلّ أحد منهم باسمه"². أمّا المدعو أحمد بن محمّد بن يزيد المعروف بابن قمران، فقد أوقف في أواخر سنة 299هـ/911م ضيعته، التي بمخلاف مأذن وما تبقي من سهمه في الثّلاثة أخماس، التي يملكها في غيل غبرات، "على بنيه الحسن وفاطمة وأمة الرّحمان ومريم وأمّ الحسين للذّكر منهم مثل حظّ الأنثيين أبدا ما كانوا أحياء"³.

وكما شمل قسم كبير من الأوقاف المحبّسة بقصبة اليمن ومخالفها سكّان هذه المدينة، لا سيّما من المساكين والمعوزين، امتدّ ربع البعض الآخر من هذه الصّدقات المحرّمة إلى خارج حدود بلاد اليمن، ليطلّ فئات وعناصر تتواجد بأماكن وأقاليم مختلفة من العالم الإسلامي، من ذلك ما أوقفه كلّ من الأمير أسعد بن أبي يعفر والخطّاب بن عبد الرّحيم الحوالي من ضياع وأموال على العلويين في مكّة⁴ وعلى سقي الماء بالحرمين أيّام موسم الحجّ، كما نصّت على ذلك وصيّة الأمير أسعد بن أبي يعفر، التي يذكر فيها: "وفي دين إن كان عليه دين في معاملة لم يذكرها عند الوصيّة، فإن لم يكن دين صرف إلى نفر أولاد العشرة وغيرهم من ذي

¹ الأكوغ، الوثائق السياسيّة، ص 258؛

R. DAGHFOUS, « Les Yu'furides... », art. cit., p. 116.

² مؤلف مجهول، المصدر المذكور، ص 172.

³ المصدر نفسه، ص 195-196.

⁴ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 172؛ الأكوغ، الوثائق السياسيّة، ص 258؛

R. DAGHFOUS, "Les Yu'furides ...", art. cit., p. 116.

الاستحقاق للصدقة بمكة والمدينة مع ما يسقى عند أيام الحج ألف دينار¹. وفي إطار سعيه إلى كسب ودّ ورضى القوى والتيارات السياسيّة والدينيّة الشيعيّة ذات الوطأة والنّفوذ الظّاهرين في العالم الإسلاميّ عامّة وفي بلاد اليمن على وجه الخصوص وعلى رأسها الدّولة الزّيديّة بصعدة، تصدّق الأمير أسعد بن أبي يعفر على "ورثة الإمام النّاصر، الذين تحظرهم المنازل دون القوام عليهم من ولّاة أمورهم ألف دينار يتقلّد إيصالها ثقتان من عدول المسلمين ولسائر العلويين"²، كما شملت بعض صدقات هذا الأمير اليعفري أيضا المجاهدين في سبيل الله بثغر طرسوس بما قدره ألف دينار³. ولم تستثن من نظام الوقف بقصبة اليمن، خلال هذه المرحلة من تاريخها، الفئات والعناصر الواقعة في أسفل السلم الاجتماعيّ من الأعوان والخدم والعبدان والجواري، كما جاء ذلك في وصيّة الأمير أسعد بن أبي يعفر، التي أوصى فيها أنّ "من الخدم والمماليك من شكر النّعمة وبالغ في الخدمة فليؤثر بدفع هذه الرسوم"⁴.

خاتمة

اعتمادا على هذه النّتف والقطع النّفيسة والنّادرة من تاريخ اليمن لمؤلفه المجهول والذي لا يزال جلّه للأسف مخطوطا ومغمورا، بعيدا عن أنامل الباحثين المهتمّين بتاريخ هذه النّاحية من بلاد العرب، سعت هذه الورقة إلى إلقاء الضّوء على ظاهرة الوقف بمدينة صنعاء منذ نهاية القرن 3 وحتّى مطلع القرن 5هـ/9-11م، فكشفت عن الحيّز الهامّ الذي كانت تحتلّه هذه الظاهرة في المشهد الاجتماعيّ الصّنعاني، خلال هذه المرحلة من تاريخه، وعن ارتباطها الوثيق والعميق بمختلف مناحي الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والدينيّة بهذه المدينة. وقد

¹ الأكرع، الصّفحة نفسها، ص 258؛

R. DAGHFOUS, *Ibid.*

² الأكرع، الصّفحة نفسها؛

R. DAGHFOUS, *Ibid.*

³ الأكرع، الصّفحة نفسها؛

R. DAGHFOUS, *Ibid.*

⁴ الأكرع، المرجع نفسه، ص 262-263؛

R. DAGHFOUS, *Ibid.*, pp. 120-121.

مثّلت الدّوافع الدّينيّة والبواعث السّياسيّة أبرز العوامل الكامنة وراء الانتشار اللّافت لظاهرة الوقف بحاضرة اليمن طوال هذه المرحلة والتي توزّعت في الجملة بين أوقاف عامّة وأخرى خاصّة، شأنها في ذلك شأن ما كان سائداً في كثير من البلاد الإسلاميّة الأخرى. وكما تعدّدت أسباب الوقف وأصنافه بهذه المدينة، فقد تنوّعت أيضاً طبيعة الأوقاف المحبّسة بها وعلى رأسها الأموال والأموال غير المنقولة ممثّلة أساساً في الأراضي الزراعيّة والحوانيت. أمّا وجوه صرف هذه الأموال الموقوفة وإنفاقها، فقد تمثّلت أساساً في العناية بالمنشآت الدّينيّة والمائيّة وبدرجة أقلّ في وجوه الإحسان والبرّ، التي شملت بالخصوص الجمهور العريض من فقراء ومساكين هذه المدينة. ولأنّ الولاية العامّة على الأوقاف في التّشريع والفقهاء الإسلاميين بهذا البلد هي من اختصاص القضاء دون سواه، فقد كان للقضاة وحدهم صلاحية الإشراف على هذه الأموال الموقوفة وأحقّية البتّ والفصل في ما يطرأ حولها من خصومات ونزاعات، إلى جانب ما يلاحظ من تمتّع الوقف بقصبة اليمن منذ هذه الفترة المبكّرة من التّاريخ الإسلامي بنوع من الشّخصيّة المعنويّة الاعتباريّة المستقلّة، فكما كان يقضى للوقف كان يقضى ضدّه. ورغم ما يمكن أن نستنتجه من توظيف بين وجليّ لنظام الوقف بقصبة اليمن كأداة لسلطة سياسيّة واجتماعيّة في سبيل تحقيق منافع وأغراض شخصيّة ضيقة، فإنّ ذلك لا يمكن أن يحجب في المقابل الآثار الإيجابيّة الهامّة المترتّبة عن هذا النّظام كشكل من أشكال التّضامن والرّعاية الاجتماعيّين، الذي أسهم في تخفيف مظاهر العوز والفاقة المتفشّية بشكل لافت بهذه المدينة وكمؤسّسة اجتماعيّة وأهليّة ساعدت إلى حدّ كبير على تنشيط حركة الإنشاء والتّعمير بهذه المدينة وحفظت لها جزءاً ذا بال من رصيدها العمراني بعد موجة الخراب البليغة، التي كانت قد ضربتها في ظلّ غياب سياسة رسميّة ثابتة تولى اهتماماً كافياً بالمصلحة العامّة.